

التبيان في تفسير القرآن

(131) والثاني - ان يكون عنى انهم صم وبكم في الظلمات في الدنيا ، فمتى أريد الاول كان ذلك حقيقة ، لانه تعالى لا يمتنع ان يجعلهم صما بكما في الظلمات ، ويضلهم بذلك عن الجنة وعن الصراط الذي يسلكه المؤمنون اليها ويصيرهم إلى النار. وان أريد به الوجه الثاني ، فانه يكون مجازا وتوسعا . وانما شبههم بالصم والبكم الذين في الظلمات ، لان المكذبين بآيات الله لا يهتدون إلى شئ مما ناله المؤمنون من منافع الدين ولا يصلون إلى ذلك ، كما أن الصم البكم الذين في الظلمات لا يهتدون إلى شئ من منافع الدنيا ولا يصلون اليها ، فتشبيهم من هذا الوجه بالصم البكم. وقال البلخي " صم وبكم في الظلمات " معناه في الجهل والشرك والكفر وقوله " من يشأ الله يضلها ومن يشأ الله يصلها " لا يجوز ان يكون على عمومته ، لانا قد علمنا ان الله تعالى لا يشاء ان يضل الانبياء والمؤمنين ولا يهدي الكافرين ، لكن قد بين تعالى في موضع آخر من الذي يشاء ان يضلها ، فقال " وما يضل به الا الفاسقين " (1) وقال " ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء " (2) وقال " والذين اهتدوا زادهم هدى " (3) وقال: " يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام " (4) وقال " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا " (5). وقوله " ومن يشأ الله يضلها ومن يشأ الله يصلها " هاهنا يحتمل امرين: احدهما - " من يشأ الله يضلها " أي من يشأ يضلها بأن يمنعه الطافه وفوائده ، وذلك اذا واطر عليه الادلة وأوضح له البراهين فأعرض عنها ولم يمعن النظر فيها ، فصار كالاصم الاعمى ، فحينئذ يشاء أن يضلها بان يضلها. والثاني - من يشأ الله اضلاله عن طريق الجنة ، ونيل ثوابها يضل على

(1) سورة 2 البقرة آية 26 (2) سورة 14 ابراهيم آية 27 (3) سورة 47 محمد آية 17 (4) سورة 5 المائدة آية 18 (5) سورة 29 العنكبوت آية 69.